الباب الثانى

تركى بن عبد العزيز.. ومصر!

«الشعب المصرى شعب عربى عريق.. وعلاقته بالشعب العربى السعودى علاقة تاريخ ودين وحضارة وأصالة»..

بهذه الكلمات يرسم الأمير تركى بن عبد العزيز ملامح الشعب المصرى، كما يراه هو.. وكما يراه كل مواطن سعودى..

وحتى تزداد الصورة وضوحًا يجب أن نقرر حقيقة مؤكدة، هى عمق هذه العلاقة الوطيدة بين الشعبين: السعودى والمصرى، والتى تحددت ملامحها فى عام (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م).. عندما توحدت المملكة العربية السعودية.. وبدأت جسور المودة تمتد بين المملكة العربية السعودية من ناحية.. ومصر وباقى الدول العربية من ناحية أخرى..

وفى هذا المجال بدأ الملك عبد العزيز -رحمه الله- أولى خطواته بتوقيع أول معاهدة للصداقة وحسن الجوار بين المملكة العربية السعودية وكل من العراق واليمن..

وفى هذه المناسبة صرح جلالته لمندوب جريدة الأهرام قائلا:

- «إننى وشعبى مغتبطان جدًّا بما وفقنا الله إليه من عقد هذه المعاهدة التى أصبحت هى ومعاهدة الطائف أساسًا قويًّا يرتكز عليه العرب فى تكاتفهم وتعاضدهم واتحاد كلمتهم.. وأملى أن تنضم حكومات مصر والأردن وفلسطين وسوريا إلى هذا الحلف»..

وتحققت آمال الملك عبد العزيز عندما أبرم معاهدة صداقة وحسن جوار مع حكومة مصر.. وكان ذلك فى عام ١٩٣٦..

● وحول العلاقة بين السعودية ومصر يقول خير الدين الزركلى:

– «صرفت ثمانية عشر عامًا منقطعاً لتمثيل الملك عبد العزيز فى مصر.. وما كتب لى يومًا بشأن مصر ولاسمعته يتحدث فى سر أو علن عن مصر إلا بالحرص والحض على حسن العلاقة وتوطيد المحبة والصداقة بين عبد العزيز وبين المصريين حكومة وشعبا»..

ولأن الملك عبد العزيز يؤمن بحجم مصر وعظمة الدور الذى يمكن أن تلعبه فى العالم العربى.. لذلك حرص رحمه الله على ضرورة التشاور مع الحكومة المصرية قبل اتخاذ أى قرار يتناول القضايا العربية..

● وفى برقية من الملك عبد العزيز إلى ممثله فى القاهرة يقول له فيها:

– «قابلوا محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية وأخبروه بأننا يجب على الدوام أن نكون على إتفاق وتفاهم فى كل ماله علاقة بالمصلحة الإسلامية عامة والمصلحة العربية خاصة، وأهم المسائل التى تواجه الإسلام والعرب هى مشكلة «فلسطين»..

لذلك نرى أن نتداول الرأى مع الحكومة المصرية والحكومة العراقية فى الوقت نفسه لانتخاب مندوبين يمثلون فلسطين، ونرجو من الحكومة المصرية أن تبين لنا رأيها فى كيفية ذلك الانتخاب للاتفاق عليه»..

● وتتعدد المواقف.. وتتشعب الأمور.. ولكنها تؤكد دائما أن الملك عبد العزيز مؤمن بالتقارب مع مصر، وفى هذا يقول:

– «إننى أريد الاتفاق مع مصر والتعاون معها وعمل كل شىء مع مصر.. وأن تكون الأخوة بيننا على أحسن وجه»..

* * *

ويوافق الملك عبد العزيز على بروتوكول الجامعة العربية..

ويزور الملك فاروق ملك مصر المملكة العربية السعودية..

ويزداد الترابط بين البلدين..

وتمر الشهور ليدعو الملك فاروق الملك عبد العزيز لزيارة مصر.. ويلبى الملك عبد العزيز الدعوة ليصل إلى ميناء بورتوفيق صباح يوم الخميس (٧ صفر - ٩ يناير) على ظهر الباخرة المحروسة حيث يصعد إليها الملك فاروق مرحبًا بضيفه العظيم..

واستغرقت الزيارة اثنى عشر يوما.. تفقد فيها الملك عبد العزيز العديد من الأماكن والمدن.. وعندما وصل الملك عبد العزيز ميناء جدة ألقى على شعبه كلمة قال فيها:

- «من فضل الله علينا جميعا أن كانت كلمتنا فى هذه الزيارة والتى قبلها مجتمعة على مواصلة جهودنا فى تأييد جامعة الدول العربية وبذل كل مرتخص وغال فى تأييد التضامن بين سائر دول الجامعة بالقلب والروح لما فيه خير البلاد الإسلامية والعربية.. وسنستمر على هذه السياسة بمشيئة الله ماحيينا وسنورثها بيننا حتى يظل العربى يشعر فى كل موطن يمر به من بلاد العرب بأنه يسير فى وطنه ويعتز كل مواطن بما يعتز به فى وطنه وبلاده..

وليس البيان بمسعف فى وصف مالاقيته ولكن اعتزازى أنى كنت أشعر بأن جيش مصر العربى هو جيشكم وجيشكم هو جيش مصر، وحضارة مصر هى حضارتكم وحضارتكم هى حضارة مصر والجيشان والحضارتان جند للعرب»..

* * *

ومن المواقف الفريدة التى تلمع فى تاريخ هذا الارتباط القوى بين السعودية ومصر هذا القرار الذى أصدره الملك عبد العزيز بتوكيل الملك فاروق ملك مصر بالتوقيع نيابة عن المملكة العربية السعودية على وثيقة قيام الجامعة العربية.. وقد حدث ذلك بالرغم من وجود ابنه الأمير سعود..

وبماء الذهب.. وقع الملك فاروق على الوثيقة التاريخية مرتين، مرة باسم مصر.. ومرة أخرى باسم المملكة العربية السعودية..

* * *

وتتعدد المواقف.. فالملك عبد العزيز يختار خبراء فى الطيران من مصر للعمل على الخط المباشر بين البلدين..

حتى فى حرب فلسطين.. التى اشترك فيها الجيش السعودى.. لقد أوصى الملك عبد العزيز بأن يكون جيشه تحت القيادة المصرية..

وعندما عقدت الهدنة (فى أبريل ١٩٤٩) قرر الملك عبد العزيز إبقاء الفرقة السعودية فى مصر للتدريب على القتال..

بل إنه كان حريصا فى كل المواقف والمجالات على تأكيد تأييده لمصر.. وفى اجتماع مجلس الجامعة العربية (فى عام ١٩٥١) حرص على تأكيد موقف السعودية الواضح فيما يلى:

- التأييد الكامل لموقف المندوب المصرى..
- تأييد مصر وتأييد حقوقها..

* * *

وتقوم الثورة فى مصر.. وفى الطائف يلتقى الملك عبد العزيز بالرئيس المصرى اللواء محمد نجيب ليؤكد له أنه على أتم استعداد لتأييد مصر فى كفاحها..

* * *

ويتنقل الملك عبد العزيز إلى جوار ربه (فى الثانى من شهر ربيع الأول ١٣٧٣ هـ)..

وكانت وصيته قبل وفاته: «حافظوا على صداقتكم مع مصر»..

* * *

وجاء الملك سعود - رحمه الله إلى الحكم.. وبعد شهور من توليه الحكم تلقى دعوة من اللواء محمد نجيب لزيارة مصر.. وتمت هذه الزيارة.. وكانت رابع زيارة له لمصر..

ويأتى جمال عبد الناصر - رحمه الله - ليبدأ معاركه ضد الاستعمار.. وعندما أعلن عن تأميم قناة السويس أرسل الملك سعود برقية إلى السفير السعودى فى مصر هذا نصها:

- «قابلوا الرئيس وارفعوا له باسمنا تأييدنا الكامل للخطوة التى خطاها فى تأميم شركة قناة السويس، ونحن واثقون من أن الرئيس يعرف موقفنا وتأييدنا المطلق له فى شتى مجالات التعاون وارفعوا لسيادته تحياتنا وأمنياتنا الطيبة..».

وتتابع الأحداث.. وحدث العدوان الثلاثى على مصر.. وعلى الفور أعلنت المملكة العربية السعودية تعبئة القوات السعودية واستعدادها للقتال مع مصر.. وفى الوقت نفسه وضعت المملكة العربية السعودية كل إمكاناتها العسكرية من مطارات وموانئ تحت تصرف القوات المصرية.. بل وقطعت المملكة العربية السعودية نفطها تسعة وعشرين يوما.. وحرمت ناقلات البترول الإنجليزية والفرنسية من التموين.. ووقعت السعودية مع مصر الاتفاق السرى لتزويدها بالبترول وتحميله على ناقلات يونانية تحمل العلم السعودى..

وبدأ الشباب السعودى فى حمل السلاح استعدادا للوقوف بجانب مصر.. وكان على رأس المتطوعين عدد كبير من الأمراء السعوديين.

وتعددت المواقف الصلبة للسعودية بجانب مصر.. إلى أن مرت فترة قاسية لعب فيها الاستعمار دوره الكريه لبث الفرقة فى العلاقة بين الملك سعود وجمال عبد الناصر رحمهما الله.. ولكن مالبث الحق أن ظهر لتبدأ صفحة جديدة من العلاقات الحسنة بين السعودية ومصر..

السعودية على رأسها الملك فيصل.. ومصر على رأسها جمال عبد الناصر..

* * *

وهكذا حدث التقارب السعودى المصرى.. وكان حضور الملك فيصل - رحمه الله - لمؤتمر القمة العربى الذى عقد فى عام ١٩٦٤م أحد ملامح هذا التقارب.. وفى هذا المؤتمر الذى عقد فى القاهرة تقرر إنشاء قوة عسكرية موحدة للوقوف أمام أى تهديد إسرائيلى لأى بلد عربى.. كما تقرر إقامة مشروع عربى لاستغلال مياه نهر الأردن حيث كانت إسرائيل تزمع تحويل مجراه لصالحها.. وأخيرًا تقرر قيام منظمة التحرير الفلسطينية..

● ومن مذكرات محمود رياض ننقل هذه السطور:

- «كان عبد الناصر يكن للملك فيصل تقديرًا خاصًا حتى فى أسوأ فترات الخلافات السياسية التى سببتها حرب اليمن وكانت تلك العلاقات القائمة على التقدير المتبادل بين فيصل وعبد الناصر تعود إلى أول لقاء بينهما فى القاهرة منذ عام ١٩٥٥..

وفى مؤتمر الخرطوم أعطيت الكلمة لجمال عبد الناصر، وعندما انتهى من كلمته ران صمت على قاعة الاجتماعات واتجهت الأنظار نحو الملك فيصل الذى بدأ حديثه بصوت هادئ قائلا:

- «إننى أقترح أن تكون كلمة الأخ الرئيس جمال عبد الناصر هى ورقة لعمل الخاصة بالمؤتمر، وأن تكون هى أساس القرارات التى ستصدر عنه فى المستقبل..

ويمضى محمود رياض فى مذكراته فيقول:

- «لقد تصرف فيصل رحمه الله مع أخيه جمال تصرفًا وديًا.. تصرفًا عربيًا امتاز بالحب والسماحة، وفتحت مطارات المملكة العربية السعودية وأجواؤها وموانيها لنقل الجيش المصرى من اليمن، وقدمت له كافة التسهيلات حتى يلحق مع تشكيلاته فى مصر العربية..

وإذا كانت المواقف المضيئة قد تخللت صفحات العلاقات المصرية السعوية خلال حكم عبد الناصر لمصر.. فإن مرحلة أخرى قد جاءت عندما تولى حكم مصر الرئيس الراحل محمد أنور السادات.. صاحب نصر أكتوبر العظيم.. الذى أطلق مقولته الشهيرة:

- «النصر الذى حققناه فى حرب أكتوبر يرجع إلى الحكمة والمساندة، وروعة المعركة التى أدارها الملك فيصل»..

* * *

مثلا.. فى أغسطس ١٩٧٢ ذهب السادات إلى السعودية لمباحثات بينه وبين الملك فيصل.. وفى فبراير ١٩٧٣ سافر السادات إلى الاتحاد السوفيتى..

وبعد ساعات من وصوله إلى موسكو أرسل الملك فيصل إليه رسالة عاجلة يؤكد له فيها أنه وضع عشرين قاذفة مقاتلة بريطانية تحت تصرف القوات المسلحة المصرية..

وكانت هذه الرسالة المحرك الحقيقى الفعال الذى دفع الاتحاد السوفيتى إلى تزويد مصر بالقاذفة تى-يو٢٢ بعد أن كان رافضًا لذلك..

بل دفع ذلك الاتحاد السوفيتى إلى توريد المزيد من الأسلحة الأخرى لمصر..

ورد السادات على الملك فيصل بقرار أخوى آخر:

فقد طلب من وزير الحربية المصرى أن يبعث برسالة إلى سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران السعودى يؤكد له فيها: أن الرئيس السادات قد أمره فى حالة حدوث أى طارئ للسادات أثناء الحرب أن تتلقى القيادة العسكرية المصرية أوامرها من الملك فيصل..

* * *

● وجاءت حرب العاشر من رمضان..

وهنا أيضا يجب أن نذكر الموقف البطولى للملك فيصل رحمه الله عندما ساند مصر باستخدام سلاح البترول..

ففى الوقت الذى تقرر فيه أمريكا تقديم مساعدة إلى إسرائيل فى حدود ألفى ومائتى مليون دولار.. يرد الملك فيصل - رحمه الله - على هذا القرار بحظر تصدير البترول إلى أمريكا وهولندا.. أكثر من ذلك.. أعلن تخفيض إنتاج البترول فى السعودية بنسبة ١٠٪ كل شهر..

وهكذا استعمل الملك فيصل سلاحه الخطير: البترول..

وانتهت حرب رمضان بالنصر الكبير..

وخرجت مصر كلها لتستقبل ضيفها الكبير الملك الفيصل فى زيارته التى تمت فى شهر أغسطس من عام ١٩٧٤..

وخلال زياراته.. كانت جولته فى مدينة السويس.. وما أن شاهد آثار العدوان حتى تبرع بمبلغ ٣٠٠ مليون جنيه لتعمير المدينة وإقامة حى جديد بها.. وهنا اقترح الرئيس الراحل أنور السادات أن يطلق على هذا الحى اسم: «حى الملك فيصل»

وفى كلمات محدودة لخص الملك فيصل شعوره نحو مصر قائلا:

- «أحب أن أؤكد أننى أعتبر مصر وطنا لى، وكلنا نعتبر أنفسنا مصريين وكل محاولات للنيل من دور مصر فإنه من قبيل المزايدات التى لا تجدى»..

* * *

وبعد وفاة الملك فيصل.. تولى الملك خالد بن عبد العزيز.. وعندما أعلن الأمير فهد بيان الحكومة السعودية نيابة عن أخيه الملك خالد تأكد الجميع أن هذه السياسة

هى امتداد للسياسة الدائمة للمملكة العربية السعودية والتى تؤكد دائما: دعم التضامن العربى والإسلامى.

وتم ذلك عمليًا فى اجتماع القمة العربى بين خالد والسادات والأسد.. وخلال هذا الاجتماع تمت خطوات التقريب بين مصر وسوريا.. وكان الفضل فى ذلك لجهود السعودية..

وفى هذه المناسبة قال الرئيس الراحل أنور السادات كلمته الصادقة:

-«إن السعودية كانت دائمًا بيتا للعرب وملتقى للجميع»

وتوفى أنور السادات..

وبعد فترة وجيزة انتقل الملك خالد إلى جوار ربه..

وتولى الحكم فى مصر الرئيس « حسنى مبارك»

وفى السعودية الملك فهد بن عبد العزيز..

* * *

عرفت مصر فهد بن عبد العزيز منذ سنوات بعيدة..

لقد زارها رئيسا لوفد المملكة العربية السعودية فى مؤتمر الحكومات العربية الذى عقد فى القاهرة فى عام ١٩٦٥..

وعندما قابل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تناقش معه فى فكرة عقد لقاء بينه وبين الملك فيصل رحمه الله.. وبالفعل تم ذلك فى أغسطس ١٩٦٥ حيث اتفق الملك فيصل والرئيس عبد الناصر على سحب القوات المصرية من اليمن.. وترك مهمة اختيار نظام الحكم لأهل اليمن ذاتهم..

ومرة أخرى يزور فهد بن عبد العزيز مصر - وكان فى ذلك الوقت النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية - وقد قال المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية عن هذه الزيارة:

- إن زيارة فهد بن عبد العزيز زيارة ود ومحبة، وبالرغم من عدم وجود وحدة بين

مصر والمملكة فإن هناك وحدة محققة بين القلوب فى الحكومتين والشعبين السعودى والمصرى..

وعندما حدث توقف فى العلاقات بين المملكة العربية السعودية ومصر كانت الحكومة السعودية حريصة على استمرار ذلك الاتصال بين الشعبين: المصرى والسعودى.. للسعودية موقفها المحترم غير المعادى.. بل إن الموقف الإيجابى كان بتقديم السعودية لمشروع السلام، محاولة بذلك حل المشكلة الفلسطينية.. وأيدت مصر هذا المشروع..

وهنا يجب أن نتوقف طويلًا أمام رأى خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد فى الشعب المصرى.. إنه يقول:

- «إن الشعب المصرى يملك إمكانات وقدرات هائلة، كما أن تاريخه العريق حافل بالأمجاد والبطولات، وقد استطاع بفضل الله أن يصنع الكثير من المواقف الخالدة التى تذكر فتشكر.. وكل مانرجوه أن تتضافر تلك الإمكانات والقدرات على أيدى الرجال المخلصين وفى مقدمتهم الرئيس محمد حسنى مبارك الذى يواصل السعى حثيثًا من أجل مصر ومن أجل تقدم شعب مصر ليقوم بدوره الرائد والطليعى إلى جانب أشقائه العرب..»

وزار خادم الحرمين مصر..

وفى هذه الزيارة أعلن كل مصرى بوضوح مافى قلبه تجاه الشعب السعودى الشقيق..

وأخيرا.. نصل إلى رجلنا العظيم.. الأمير تركى بن عبد العزيز

ترى ماذا فى قلب هذا الرجل تجاه مصر؟..

إنه دائما يقول:

- «إن الانسان ليشعر فى مصر أنه دائمًا فى وطنه الثانى.. لايحس بغربة أو اغتراب..

ويتأكد صدق كل حرف من حروف هذا الرأى بما يحدث فعلًا.. فالأمير تركى بن

عبد العزيز يقضى - وأسرته الكريمة - فترات طويلة من العام متنقلا بين القاهرة والإسكندرية..

وبجانب الإقامة هناك هذا النشاط الدائم المستمر الذى يرتبط بكل قوة مع المجتمع المصرى..

هذا النشاط الذى يوثق العلاقات بين الشعبين السعودى والمصرى.